Journal of Humanities and Social Sciences
Volume (3), Issue (9) : 30 Sep 2019
P: 1 - 12

ISSN: 2522-3380

مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلد (3)، العدد (9) : 30 سبتمبر 2019 م
ص: 1 - 12

The creation and innovation of the Prophet's companions

Manei Dabi AL.Otibe

Faculty of Arabic Language and Social Studies || Qassim University || KSA

Abstract: The biography of Prophet Muhammad (Peace be Upon Him) is full of undiscovered treasures that need efforts of those who could search for and reveal its precious treasures. Through the historical approach, and by going through an introduction and four chapters, this study tried to reveal some aspects of its excellence by reviewing some of the attitudes that express creativity and innovation in directing and implementing matters in order to serve the religion of Islam in a variety of fields, including, but not limited to: the scientific, social, military, and economic fields.

The researcher concluded that the Islamic Nation is the birth of creative people, and that Islam and the prophet Muhammad (PUH) embrace the thought, the deep thinking and the guided and useful creation that has no limits. Moreover, the events and their course of action mobilize those who are inclined to keep their minds off the usual thoughts in order to reach fruitful results that have achieved great and speed success, compared to traditional stereotypes that may not achieve such successes. The researcher recommended the need to read the Prophetic biography with an aesthetic and analysis reading in all its positions and events according to the mechanism of creativity and innovation.

Keywords: Creativity – Innovation – The Companions of the Prophet.

الإبداع والابتكار عند الصحابة

منيع بن دابي العتيبي

كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية || جامعة القصيم || المملكة العربية السعودية

الملخص: السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدون حافلة بكنوز دفينة تحتاج إلى من يُفتّش عنها ويكشف خباياها الثمينة، وقد حاول هذا البحث من خلال المنهج التاريخي، وعبر مقدمة وأربعة مباحث؛ أن يكشف عن جانب من جوانب التميز فيها، عبر استعراض بعض المواقف التي تنمّ عن الإبداع والابتكار في توجيه الأمور وتنفيذها لخدمة الدين الإسلامي في مجالات متنوّعة ومتعدّدة، منها على سبيل المثال لا الحصر: الجانب العلمي، والاجتماعي، والعسكري، والاقتصادي. وقد توصّل الباحث إلى أن الأمة الإسلامية ولّادة بالمبدعين، وأن الإسلام ونبي الأمة يحضّان على التفكّر والتدبر والإبداع الموجّه النافع الذي لا حدود له، كما أن الأحداث ومجرياتها تستنفر أصحاب الهمة إلى التفكير بعيدًا عن المألوف؛ من أجل الوصول إلى نتائج مُثمرة تُحقّق النجاح الباهر والسريع، قياسًا بما عاداها من أفكار نمطية تقليدية قد لا تُحقّق مثل هذه النجاحات. وقد أوصى الباحث بضرورة قراءة السيرة قراءة جمالية تحليلية في كافة مواقفها وأحداثها وفق آلية الإبداع والابتكار.

الكلمات المفتاحية: الإبداع- الابتكار- الصحابة.

مقدمة:

الإبداع والابتكار وجهان لعملة واحدة، وصنوان لا يفترقان، وإن الناظر والمتأمل لوقائع السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدون؛ ليتضح له جليًّا حجم الإبداع والابتكار، وكمية المواقف الآسرة التي يتملكك منها العجب، وتأخذك بها الدهشة أيما مأخذ.

إن الدولة الإسلامية الناشئة لم تأتِ من فراغ، ولم تثبُت في وجوه المتربصين إلا بتضحيات ومواقف قد سطرها التاريخ بمداد من ذهب، وقد احتوى زمن الرسول ﷺ وزمن الخلفاء الأربعة، على مواقف كثيرة جدًّا ظهر فيها الإبداع والابتكار وتجلى؛ فغدت هذه المواقف مثالاً يُحتذى به ويستفاد منه.

ويحتاج واقع أمتنا الإسلامية اليوم بشيبها وشبابها إلى إبراز هذه المواقف ونشرها بينهم؛ لعلها تُحرّك فيهم ساكنًا، وتنقلهم من حالة الضيق والإحباط والتقوقع؛ إلى فضاء رحب من الإبداع والابتكار والعمل الدؤوب؛ للرفع من شأن هذه الأمة حتى تقارع به الأمم الأخرى.

أ- مشكلة البحث:

السيرة النبوية وتاريخ الخلافة الراشدة ثري حافل بكل معاني الجمال، وتحتاج إلى من ينفض الغبار عنها بقراءة تتجاوز التقليد والنمطية إلى قراءات تستلهم الماضي وعينها على الحاضر، من خلال الارتكاز على توجيه المواقف والأحداث في ضوء آلية الإبداع والابتكار؛ ولذا فإن مشكلة الدراسة تتمثل في هذا التساؤل الرئيس: هل هناك نماذج من السيرة النبوية العطرة يمكن قراءتها في ضوء آلية الإبداع والابتكار؟.

ب- أهداف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى:

1- بيان أن صدر الإسلام يغصُ بالمواقف والأحداث العظيمة التي تحتاج إلى من يتذوّقها ويتفهمها؛ لاستنباط العبر منها.
2- قراءة سيرة الرعيل الأول قراءة تحليلية تعتمد على آلية الإبداع والابتكار والغوص إلى ما وراء الحدث ذاته واستشفاف مغزاه.
3- الإشارة إلى أن التاريخ الإسلامي المبكر يضم الكثير من المواقف والأحداث التي يمكن توجيهها نحو آلية الإبداع والابتكار؛ بما ينمّ عن أن الأمة الإسلامية أمة ولّادة، وان أتباعها كان همهم وشاغلهم نصرة الدين والذود عنه.
4- توجيه نظر الباحثين في السيرة النبوية إلى ضرورة توحيد جهودهم من أجل الاعتناء بالسيرة العطرة، والاستفادة منها واقعيًّا، وفي تربية النشء، وأن تُصاغ بطريقة مشوقة لتحقيق التأثير الجمالي فيهم، فضلا عن ترجمة ذلك إلى لغات مختلفة من أجل تصحيح الصورة الذهنية المرسومة عن الإسلام ونبي الإسلام لدى أعدائه.

ج- أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من أنه يحاول وضع لبنة يمكن السير على منوالها في قراءة السيرة النبوية العطرة قراءة جمالية ماحصة فاحصة تتجاوز مباشرية الحدث وسطحية الموقف إلى لبه وعمقه وفحواه؛ لاستنباط العِبر والدروس الملهمة والاستفادة منها في الواقع المُعاش.

د- منهج البحث:

اعتمد الباحث على المنهج التاريخي، الذي يتتبع الموضوع محل الدراسة من خلال الاطلاع على ما ورد عنه بالمصادر المختلفة، وجمع الآراء المتباينة وتحليها ونقدها؛ للوصول إلى نتائج موضوعية بناء على هذه المعلومات المجموعة، واستلهام ما وراء الموقف من عِبر ودروس مستفادة؛ تنمّ عن الخروج عن المألوف والإبداع والابتكار في أداء أعمال غايتها خدمة الدين.

هـ- خطة البحث:

رأى الباحث أن يكون تناول هذا الموضوع وفق التقسيم الآتي: مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع.

حيث تناولت المقدمة أهمية الموضوع، وأهدافه، ومشكلة البحث، والمنهج المتبع، والتعريف بمصطلحات البحث، وخطة البحث، والدراسات السابقة. وتناول المبحث الأول: الإبداع والابتكار العلمي، في حين تناول المبحث الثاني: الإبداع والابتكار الاجتماعي، بينما استعرض المبحث الثالث الإبداع والابتكار العسكري، وتناول المبحث الرابع: الإبداع والابتكار الاقتصادي. وأخيرًا جاءت الخاتمة ليرصد الباحث من خلالها أهم ما توصّل إليه من نتائج وتوصيات، وأعقبها بقائمة المصادر والمراجع.

و- الدراسات السابقة:

تناول الباحثون السيرة النبوية المشرفة من جوانب عديدة: دينية، وسياسية، وتربوية، وعسكرية... ولكن – في حدود علم الباحث- لم يقف أحد أمام جوانب الإبداع والابتكار فيما حوته من مواقف وأحداث، ولم يحظ بدراسة مُتخصّصة تجلي جوانب هذا الجانب؛ وهذا ما دفع الباحث إلى سبر غور هذه الجزئية، وإماطة اللثام عن جانب مهم من جوانب التميز لهذه الأمة وأفرادها، ولعل هذا ما يميّز هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات الأخرى التي كانت السيرة النبوية محور ارتكازها.

تمهيد

قبل الشروع في الأمثلة التي يتبيّن بها حجم الإبداع والابتكار، لا بد من تعريف الإبداع والابتكار.

الإبداع: [بدع] أبدعت الشيء: اخترعته لا عَلى مثالٍ[1].

والابتكار: الاستيلاء على باكورة الشيء، سواء أكان هذا الشيء فكرة أم عملًا لم يُسبق إليه[2].

ضابط الإبداع والابتكار:

إن الأمثلة التي تكون جديدة في فكرتها ومضمونها داخلة في الإبداع والابتكار، كما أن أي عملٍ ينقل الشخص والمجتمع من حالٍ إلى حالٍ؛ يعدُّ إبداعًا الكل يراهن عليه. كيف لا والكثير لم يدر بخَلده مثل هذه الفكرة أو مثل هذا العمل.

المبحث الأول: الإبداع والابتكار العلمي

باب العلم باب عظيم، ومن رُزق العلم؛ فقد رُزق خيرًا كثيرًا، ومهما بذل الإنسان فيه من الأوقات، فسيعود عليه بالنفع؛ ولكن لا يستعجل النتائج؛ حيث إن العجلة في ذلك تضرُّ بالطالب حتمًا وتُرديه فيما لا يحب. وفي دراسة أحوال الصحابة ترى من أحوالهم العجب العجاب في همتهم، ودأبهم على التحصيل، ونبوغ بعضهم وذكاءه المتوقّد، ونسوق في ذلك بعض الأمثلة:

(1) الجوهري: الصحاح تاج اللغة، ج1183/3.

(2) الزبيدي: تاج العروس، ج246/10.

1- زيد بن ثابت[3] وتعلّم اللغات:

قلّ أن تجد في أي زمن من الأزمنة من يتقن فنًّا من الفنون في فترة وجيزة؛ بل تجد من يواصل الليل بالنهار ليحيط بطرف منه؛ ومع هذا فإن الصحابي الجليل زيد بن ثابت ﷺ طلب منه الرسول ﷺ أن يتعلم لغة اليهود؛ حتى يأمن على نفسه من بعض الرسائل التي تردُ بلغتهم، فطفق زيد بن ثابت يتعلّم لغتهم، فتعلّمها في أقل من خمسة عشر يومًا. ومع هذا الإبداع والإتقان؛ فقد تعلّم لغات أخرى مثل السريانية[4]، وكل ذلك من أجل المراسلات ومعرفة ما يدور فيها[5].

الدروس والعِبر المُستلهمة من الموقف:

أ- ثقة الرسول ﷺ في زيد بن ثابت، وقدرة زيد على التعلم.

ب- امتلاك زيد للهمة التي ولَّدت لديه إبداعًا لا نظير له.

2- النبوغ العلمي عند ابن عباس:

كان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ يدرك جيدًا حجم الفارق بين عبد الله بن عباس وبقية الشباب الذين لا يزالون في سِنّه؛ ولذلك سمح له بالدخول إلى مجالسة الخاصة التي يجتمع فيها مع خيرة الصحابة يتدارسون فيما بينهم أمور الدين. وقد وجد[6] بعض المهاجرين - رضي الله عنهم- في نفسه على عمر ﷺ في كيف أنه يُدخل ابن عباس ويُدنيه، وأنه لا يسمح لأحد من بقية أبنائهم بالمشاركة في هذه النقاشات والمُدارسات التي تُثري كل من حضرها، خصوصًا أنها بين الرعيل الأول من الصحابة.

علم عمر بن الخطاب ﷺ بالأمر فقال لهم: "أما أني سأريكم منه اليوم ما تعرفون له فضله، فسألهم عن سورة النصر؟ فقال بعضهم: أمر الله نبيه ﷺ إذا رأى الناس يدخلون في دين الله أفواجًا أن يحمد ويستغفر. فقال عمر: يا ابن العباس، ألا تكلم! فقال: أعلمه متى يموت. فقال لهم: كيف تلوموني عليه بعد ما ترون؟"[7].

الدروس والعِبر المُستلهمة من الموقف:

أ- إدراك عمر ﷺ لعلم ابن عباس ونبوغه؛ وإلا لما أدناه منه.

ب- بزّ ابن عباس أقرانه بذكائه المتوقّد.

ج- أن يفهم الصغير ما لا يدركه الكبير؛ تدلّ على نضوج فكري وعلمي.

المبحث الثاني: الإبداع والابتكار الاجتماعي

إن حياة الناس وعلاقاتهم الاجتماعية لها أثر كبير في تكوين شخصية الفرد؛ ومن ثمّ مساعدته على ما يحيط به من عواقب تحدُّ من نشاطاته وسيره في أي طريق سلك، وفي ذلك نسوق ثلاثة من الأمثلة:

---

(3) زيد بن ثابت بن الضحاك، كنيته أبو سعيد وقيل: أبو عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمن. توفي سنة 45هـ، وقيل: سنة 51هـ. ابن قانع: معجم الصحابة، ج228/1، وابن حبان: الثقات، ج135/3-136.

(4) لهجة من لهجات اللغة الآرامية، وهي لغة من اعتنق النصرانية من الآراميين الوثنيين؛ لأنهم رفضوا الانتساب للآراميين، وتشتمل على كلمات يونانية كثيرة جدًّا، كما أنها تأثرت باللغة العبرية. إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية، ص146-148.

(5) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج273/2-274.

(6) وجد: الوجد: من الحزن والموجدة من الغضب. الفراهيدي: العين، ج69/6.

(7) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج139/1-141، والفسوي: المعرفة والتاريخ، ج516/1.

1- احتواء الزوجة وإبداعها في تبديد المخاوف:

عاد رسول الله ﷺ من غار حراء بعد نزول الوحي عليه خائفًا يرتجف، يقول: "زملوني زملوني"، وقص عليها الخبر فما كان من خديجة - رضي الله عنها- إلا أن احتوته ﷺ وألقت على مسامعه كلامًا جميلًا هادئًا؛ اطمأنت له نفسه، وردّ عليه أنفاسه، ثم ازدادت إبداعًا بأخذه إلى من يعرف مثل هذه الأمور التي يجهلها أهل مكة. فأخذته إلى ورقة بن نوفل[8]، وكان عالمًا بالنصرانية، فأخبرهم الخبر وفسّر لهم ما جاء في الغار، وأنه هو الرسول المرتقب[9].

الدروس والعِبر المُستلهمة من الموقف:

أ- إبداع خديجة - رضي الله عنها- في ذكر إيجابيات النبي ﷺ حالة خوفه.

ب- إبداعها - رضي الله عنها- في تقدير أهل العلم، وأنهم أهل الاختصاص في رفع الجهل عن الناس.

ج- فضل أهل العلم في كشف اللبس، وبيان حالة الغموض التي تكتنف بعض الأحداث.

2- مشاركة أهل البيت في أحداث الهجرة:

إن استغلال كل فرد من أفراد العائلة - سواء أكان صغيرًا أم كبيرًا- يعدُّ إبداعًا لا نظير له فإن أغلب المشاركين في الأحداث لا يؤبه لهم ولا لتحرّكاتهم؟ ومن ثمّ يمكن الاستفادة منهم دون أن تحوم حولهم الشكوك. ولما أُخرج الرسول ﷺ من مكة مهاجرًا إلى المدينة يصاحبه رفيق دربه أبو بكر ﷺ جعلت قريش جائزة مائة ناقة لمن يأتي بالرسول ﷺ حيًّا أو ميتًا، وشأن الإبل عند العرب عظيم، فأقام رسول الله ﷺ وصاحبه في غار ثور ثلاثة أيام؛ ليخفّ عنهم الطلب، وكان عبدالله بن أبي بكر الصديق[10] يبقى في مكة صباحًا يدور على أندية[11] أصحاب القرار يستمع الأخبار، وكان صغيرًا لا يُلتفت إليه، ثم يذهب بكل ما سمعته أذناه ووعاه قلبه، فيخبر به رسول الله ﷺ ووالده في المساء.

وفي الصباح كان عامر بن فهيرة[12] - أحد موالي أبي بكر- يرعى في رعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهم غنم أبي بكر فاحتلبا وذبحا، وإذا خرج من عندهم عبدالله تبعه بالغنم ليمحو الأثر، وكانت أسماء بنت أبي بكر[13] تحضّر لهما الطعام، دون أن يكتشف أمرهم جميعًا[14].

---

(8) كان قد تنصّر في الجاهلية، كتب بالعربية وكتب الإنجيل، ذكره ابن قانع في معجم الصحابة. ابن قانع: معجم الصحابة، ج/181، وابن حبان: الثقات، ج50/1.

(9) ابن هشام: السيرة، ج236/1-237.

(10) رُمي يوم الطائف بسهم فلم يزل يتعاهده؛ حتى مات بالمدينة في أول خلافة أبيه، رضي الله عنهما. أبو نعيم: معرفة الصحابة، ج1695/3.

(11) النادي: المجلس يندو إليه من حواليه، ولا يُسمّى ناديًا حتى يكون فيه أهله، وهو الندي، والجميع الأندية. أبو منصور الأزهري: تهذيب اللغة، ج134/14.

(12) أسلم عامر مُبكرًا قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم، وأعتقه أبو بكر، استشهد في بئر معونة سنة 4هـ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج173/3-174.

(13) أسماء بنت أبي بكر، ذات النطاقين، أكبر من عائشة بعشر سنوات، والدة عبدالله بن الزبير، عُمّرت حتى بلغت مئة سنة، ماتت سنة 73هـ ابن منده: معرفة الصحابة، ج982/1.

(14) ابن هشام: السيرة، ج486/1.

الدروس والعِبر المستفادة المُستلهمة من الموقف:

أ- امتلاك الصغار طاقات متوقّدة لو أحسن الكبار استثمارها.

ب- إبداع عبدالله، وعامر، وأسماء في التخفي عن أنظار قريش التي أعلنت حالة التأهب القصوى.

3- موقف أم سلمة[15] - رضي الله عنها- بعد صلح الحديبية[16]:

يعدُّ إبداء الرأي أحيانًا في أي مسألة شيئًا جميلًا، وقد تكون تلك الجُمل التي خرجت على شكل رأي إبداعًا في مضمونها. وقد تُغيّر المواقف برمتها! فقد وقّع الرسول ﷺ معاهدة صلح الحديبية مع قريش، وكانت في نظر جُل الصحابة في صالح قريش؛ فغضبوا لذلك أشد الغضب، وأمرهم الرسول ﷺ بعد الصلح أن يحلقوا رؤوسهم وينحروا هديهم، فلم يفعلوا لما بهم من الغيظ. وهنا جاء دور أم سلمة في التأثير، فقالت: اخرج عليهم فلا تكلمهم حتى تحلق وتنحر؛ فإنهم إذا رأوك قد فعلت ذلك لم يخالفوك، فحلق وحلق من بعده الصحابة[17].

الدروس والعِبر المُستلهمة من المواقف:

- إبداع أم سلمة في قراءة المشهد؛ جعل لكلمتها أكبر الأثر عند الرسول ﷺ في مبادرته ومبادرة الصحابة من بعده.

المبحث الثالث: الإبداع والابتكار العسكري

قليلةٌ هي زمنُ الحروب، ومُثيرة أحداثها، وعظيمة آثارها، وقبل أن تلتقي الجيوش؛ يكون هناك أخذ ورد ومشاورات في كيفية تنظيمات الجيش، وتوزيع الجند، واستخدام الأسلحة الجديدة، والاهتمام بالتحصينات؛ كل هذا في سبيل النصر والظفر. وقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم- ذوي باعٍ طويل في الإبداع والابتكار في مجالات الحرب. صحيح أنهم عُبّاد ليلٍ؛ ولكنهم فُرسان وغى وأسود نزال، ومن أهم الإبداعات والابتكارات العسكرية التي جاء بها الصحابة نورد خمسة أمثلة:

1- مشورة الحباب بن المنذر رضي الله عنه[18] على رسول الله ﷺ:

في أثناء الاستعدادات لغزوة بدر نزل الرسول ﷺ بجيشه القليل منزلًا رآه - صلوات ربي وسلامه عليه- أنه الأفضل؛ اجتهادًا منه، فجاءه الحباب بن المنذر رضي الله عنه قائلًا له: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل، هو الرأي والحرب والمكيدة. فقال الحباب: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل؛ بل علينا أن نردم جميع الآبار التي قد يشرب منها القوم، ونعمد إلى أحدها فنبني حوضًا ونملأهُ ماءً، فنشرب ولا يشرب القوم. فأخذ رسول الله ﷺ بهذا الرأي؛ وكان تأثير هذا الموقف في قريش واضحًا؛ إذ أنهكهم العطش، فاقتحموا الحوض يريدون الظفر ولو بشربة واحدة؛ فقُتلوا ولم يشربوا[19].

---

(15) أم سلمة، هند بنت أبي أمية، كانت تحت أبي سلمة وهاجرت معه إلى الحبشة، ثم مات عنها، وتزوجها الرسول ﷺ بعده وكانت آخر زوجاته موتًا، توفيت سنة 62هـ أبو نعيم: معرفة الصحابة، ج3218/6.

(16) معاهدة صلح عُقدت بين الرسول ﷺ وقريش في السنة السادسة للهجرة، وكان يُمثّل قريش في الصلح سهيل بن عمرو. خليفة بن خياط: التاريخ، ج81/1.

(17) السهيلي: الروض الأنف، ج491/6.

(18) الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام، ويكنى أبا عمرو، شهد بدرًا وعمره ثلاث وثلاثين سنة، وهو ممن ثبت في أُحد، وشهد المشاهد كلها. مات في خلافة عمر ولم يعقب أحدًا. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج427/3.

(19) ابن هشام: السيرة، ج620/1.

الدروس والعِبر المُستلهمة من الموقف:

أ- ثقة الرسول ﷺ برأي صحابته.

ب- إبداع الحباب بن المنذر بشلّ حركة الخصم.

ج- تسليم الصحابة للوحي؛ إذ لم يعرض الحباب رأيه إلا بعد أن تأكّد أنه رأي للرسول ﷺ ولم يكن وحيًا.

2- حفر الخندق:

اجتمع رأي الأحزاب[20] على غزو المدينة، واضعين في اعتبارهم استئصال شأفة المسلمين؛ بما يضمن عدم رجوعهم لمناكفتهم مرة أخرى، فتحرّكت الجيوش حتى وصلت المدينة، وكانت تظن المسلمين فريسة سهلة ولقمة سائغة؛ ولكنهم تفاجأوا بالسلاح الجديد الذي لم تكن العرب تستعمله قط في حروبها؛ إنه سلاح الخندق الذي حفره الرسول ﷺ وصحابته - رضوان الله عليهم- بمشورة سلمان الفارسي ﷺ[21] فكان هذا العمل والابتكار طوق النجاة بعد الله ﷻ في اندحار اليهود وعبدة الأوثان عن المسلمين[22].

الدروس والعِبر المُستلهمة من الموقف:

أ- ثقه القائد برأي الجند.

ب- ابتكار الأسلحة الجديدة على الساحة؛ يحسمُ المعارك غير المتكافئة.

3- دور نعيم بن مسعود[23] في تخذيل المشركين عن المسلمين:

أسلم نعيم بن مسعود ﷺ في أثناء حصار الأحزاب للمدينة وكتم إسلامه، حتى جاء إلى رسول الله ﷺ وأطلعه على الخبر، فطلب منه الرسول ﷺ أن يُخذِّل عنهم ما استطاع. وكان نعيم بن مسعود رجلًا من غطفان[24]، إحدى القبائل المحاصرة للمدينة، ونديمًا[25] ليهود بني قريظة[26] الذين خانوا من داخل المدينة ولم يكونوا يعلمون بإسلامه، فذهب إلى يهود بني قريظة وحذّرهم عواقب فعلهم، وأن قريشًا قد تُصالح محمدًا ﷺ فهم أبناء عمومته؛ وبذلك يخسرون حربهم. وأشار عليهم أن يأخذوا من قريش وغطفان رجالًا من أشرافهم وفرسانهم، بحيث لو تصالحوا مع رسول الله ﷺ يُقدمون فتُضرب أعناقهم.

---

(20) قريش، وغطفان، ويهود بني قريظة، وسادات يهود بني النضير. الطبري: تاريخ الطبري، ج2/565.

(21) يُكنى أبا عبدالله، من أهل أصبهان، له رحلة طويلة في طلب الهداية، شهد الخندق وما بعدها، توفي في المدائن في خلافة عثمان بن عفان، رضي الله عنهما. ابن سعد: الطبقات، ج4/56-86.

(22) ابن هشام: السيرة، ج2/420.

(23) هاجر إلى المدينة بأهله، وشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ بعد الخندق، وقيل: مات في خلافة عثمان بن عفان، رضي الله عنهما. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج4/209-210.

(24) غَطَفان - بفتح الغين والطاء المهملة- هذه النسبة إلى قبيلة كبيرة من قيس عيلان، وهو غطفان بن سعد بن قيس عيلان. عز الدين بن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج2/386.

(25) المصاحب والمجالس. ابن السكيت: كتاب الألفاظ، ج1/273.

(26) كانوا يسكنون المدينة مع رسول الله ﷺ وخانوه في غزوة الخندق باصطفافهم مع الأحزاب بقيادة زعيمهم كعب بن أسد القرظي، وبعد فراغ المسلمين تم تحكيم سعد بن معاذ فيهم؛ فحكم بقتل مقاتلتهم، وسبي نسائهم وذراريهم، وأن تُقسّم أموالهم، فقال رسول الله ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله. الطبري: تاريخ الطبري، ج2/ 581-586.

فرح بنو قريظة بهذا المقترح الذي فيه حتفهم دون أن يشعرون. ثم ذهب إلى قريش وغطفان على وجه السرعة ليخبرهم بأن اليهود خائنون للعهود، وقد ندموا على خيانتهم لمحمد ﷺ وأنهم سيُكفّرون عن هذا الخطأ بجلب أشراف وفرسان قريش وغطفان إليه يرسفون في أغلالهم؛ فيضرب محمد أعناقهم. وفعلًا سار الوضع على ما قال نعيم بن مسعود؛ فقد جاء وفد من بني قريظة يطلبون الضمان من قريش وغطفان في البقاء، والشرط الآخر في عدم التصالح، فشك كل منهم في الآخر، وظهرت بوادر الانقسام؛ حتى كفى الله أهل الإسلام شرهم[27].

الدروس والعِبر المُستلهمة من الموقف:

أ- الأدوار الإيجابية تحتاج إلى رجال مواقف.

ب- ثقة نعيم بن مسعود في قدرته وإبداعه في تفكيك جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل .

4- حنكة خالد بن الوليد[28] في غزوة مؤتة[29]:

قُتل قادة معركة مؤتة الثلاثة: زيد بن حارثة[30]، وعبدالله بن رواحة[31]، وجعفر بن أبي طالب[32]، وتسلم الراية سيف الله المسلول خالد بن الوليد، وكانت المعركة غير متكافئة إطلاقًا؛ فقام خالد بتنظيم الجيش من جديد، ووضع الميمنة في الميسرة، والميسرة في الميمنة، وقدَّم مؤخرة الجيش وأخّر المقدمة، وجعل كأن هناك مددًا قدم على المسلمين؛ وقد أربك هذا الأمر الروم فتغيّرت عليهم الوجوه، وخافوا من هذه التغييرات المفاجئة، فانسحب خالد دون أن يلحقوا به، وخرج منهم بأقل الخسائر[33].

الدروس والعِبر المُستلهمة من الموقف:

أ- لم يستسلم خالد للوضع غير المتكافئ، وكان له ما أراد.

ب- الإبداع في تغيير الأدوار، ووقوف القائد على مجريات الأمور؛ تجعل العقبى إلى خير.

5- حذيفة بن اليمان[34] في مهمة سرية:

أراد الرسول ﷺ خبر الأحزاب الذين يحيطون بالمدينة من كل حدب وصوب، فخرج إليهم أمين سر الرسول ﷺ في ليلة شديدة الهواء والظلام مع ما فيها من جوع وخوف؛ حتى دخل معسكر الأعداء، وكان أبو سفيان[35] قد

---

(27) ابن هشام: السيرة، ج/229-230.

(28) أبو سليمان، سماه رسول الله ﷺ بعد مؤتة سيف الله المسلول، هاجر بعد الحديبية، وشهد ما بعدها من المشاهد، ومات بحمص سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب. ابن منده: معرفة الصحابة، ج1/ ص452.

(29) وقعت في السنة الثامنة من الهجرة. خليفة بن خياط: التاريخ، ج86/1.

(30) حُب رسول الله، أول من أسلم من الموالي، شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد حتى سقط شهيدًا في مؤتة، وكان عمره خمس وخمسين سنة. ابن سعد: الطبقات، ج3/29-33.

(31) شهد بيعة العقبة، وكان شاعر الرسول ﷺ وحارسه، له في الإسلام مواقف مشهورة، استشهد في مؤتة. أبو نعيم: معرفة الصحابة، ج1683/3.

(32) أسلم مبكرًا وهاجر إلى الحبشة، شبيه الرسول ﷺ خُلُقًا وخَلقًا، وكان ﷺ يسميه أبا المساكين، استشهد في مؤتة. أبو نعيم: معرفة الصحابة، ج511/2.

(33) ابن هشام: السيرة، ج2/373-389، والطبري: تاريخ الطبري، ج3/36-42.

(34) من الأزد، وكان عاملًا للرسول ﷺ على دبا في عمان، سكن الكوفة، ومات سنة ست وثلاثين بعد مقتل عثمان بن عفان، رضي الله عنهما. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج6/ 59، وأبو نعيم: معرفة الصحابة، ج686/2.

جمع الأحزاب لشيء ما، ولم يرد أن يسمع من اندسّ من المسلمين هذا الكلام الذي يريد أن يقوله، فأمر كل من حضر بأن يسأل من بجانبه عن اسمه؛ ليتأكد من ولائه، فابتدر حذيفة من يحيطون به يسألهم عن أسمائهم؛ فطفقوا يخبرونه ظانين أنه منهم، وعاد إلى رسول الله ﷺ يقصّ عليه خبر ما دار في ذلك الاجتماع[36].

الدروس والعِبر المُستلهمة من الموقف:

- شجاعة حذيفة بن اليمان وإبداعه في التخفّي، ومبادرته العدو بالسؤال؛ جعلته يؤدي دوره المنوط به على أكمل وجه.

المبحث الرابع: الإبداع والابتكار الاقتصادي

المال عصب الحياة، والمحرّك الرئيس لأي مجتمع، وإن الدول ليعمّ في أرجائها الرخاء إذا كثر فيها المال؛ وذلك راجع إلى رواج البيع والشراء. وكلما ضعفت أي دول؛ فبكل تأكيد تجد الأداء الاقتصادي فيها باهتًا، ولم يكن الصحابة بمنأى عن هذا المجال؛ بل كان لبعضهم قصب السبق في هذا الشأن، وممن يمثّله:

1- عبد الرحمن بن عوف[37] في أسواق المدينة:

خرج عبد الرحمن بن عوف من مكة مهاجرًا إلى المدينة، فارًّا من قريش التي سامت المسلمين سوء العذاب. وقد وصل ابن عوف المدينة وآخى رسول ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري ﷺ[38] الذي عرض عليه شطر ماله، فقال: دلوني على السوق؛ فأخذ يبيع ويشتري حتى تزوّج في وقت وجيز من الأنصار زوجةً قد أمهرها وزن نواة من ذهب[39].

الدروس والعِبر المُستلهمة من الموقف:

- الثقة بالنفس تصنع جيلًا فريدًا.

2- الحصار الاقتصادي:

أسلم ثمامة بن أثال ﷺ[40]، وكان من زعماء بني حنيفة[41]، وذهب بعد إسلامه إلى مكة معتمرًا، فقالت له قريش: صبوت. فقال: بل أسلمت، ووالله لن يصلكم من حب اليمامة إلا بإذن رسول ﷺ وكان طعام قريش يأتي غالبًا

---

(35) صخر بن حرب بن أمية، من سادات قريش في الجاهلية، وُلد قبل حادثة الفيل بعشر سنوات، أسلم ليلة فتح مكة، توفي سنة أحدى وثلاثين، وقيل: اثنتين وثلاثين بعدما كُفّ بصره. أبو نعيم: معرفة الصحابة، ج3/ 1509.

(36) البيهقي: دلائل النبوة، ج406/3.

(37) يكنى أبا محمد، أسلم قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم، هاجر إلى الحبشة مرتين، شهد جميع المشاهد مع الرسول ﷺ يعدّ من تجار الصحابة، توفي سنة اثنتين وثلاثين للهجرة. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3/92-100.

(38) شهد بيعتي العقبة، وكان أحد الكُتّاب في الجاهلية، شهد بدرًا واستشهد في أحد ﷺ. عز الدين بن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج432/2.

(39) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج33/5.

(40) سيد أهل اليمامة، أسرته سرية للرسول ﷺ ثم رُبط في المسجد فأسلم طوعًا، ثبت حين ارتدت أغلب اليمامة بقيادة مسيلمة الكذاب. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج213/1.

(41) بنو حنيفة: حي من بكر بن وائل من العدنانية، وهم بنو حنيفة ابن لحيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ج238/1.

من اليمامة من ديار بني حنيفة؛ فأُنهكت قريش من هذا الحصار أيما إنهاك، فشكوا حالهم وحال صغارهم إلى رسول ﷺ فأمر ثمامة برفع الحصار فورًا فرفعه ﷺ[42].

الدروس والعِبر المُستلهمة من الموقف:

- ابتكار وسائل ضغط جديدة على قريش؛ تمثّل في هذا الحصار الخانق الذي لجأ إليه ثمامة.

الخاتمة:

يضم التاريخ الإسلامي في طياته الكثير من المواقف والأخبار التي قُدّر لها أن تكون ذات تأثير واضح في المجتمع وقد ساق الباحث طرفًا منها، وفي الجعبة كثير. وبعد هذا العرض الموجز نخلص إلى نتائج، منها:

1- رعاية الرسول ﷺ لهذه الإبداعات، والأخذ بها في توق لكل جديد.
2- الأمة الإسلامية أمة ولّادة، وكلما تعرّضت للمحن والفتن؛ أبدعت وازدادت إشراقًا.
3- عظمة الأحداث، خصوصًا أن الدولة الإسلامية في بدايتها لم تُثنِ الصحابة عن العمل الجديد والمفيد.
4- الأفكار مجالها الرحب الميدان وليس الكتمان، حتى يفوت الموقف الذي تجد فيه الفكرة بغية صاحبها.
5- تنوّع الإبداعات والابتكارات؛ تدلّ على أهمية مراعاة الفروق الفردية.

وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ﷺ.

توصيات البحث:

من خلال النتائج يوصي الباحث بما يلي:

- ضرورة قراءة السيرة النبوية قراءة إبداعية تتجاوز الظاهر إلى الباطن، وتنفذ من السطح إلى العمق.
- تنطوي السيرة النبوية على الكثير والكثير من الجوانب التربوية، والاقتصادية، والسياسية، والعسكرية...ولذا ينبغي الاستفادة منها في مُعطيات الواقع الحالي، وفي تنشئة الصغار حتى يشبّوا نافعين لأوطانهم.
- يُوصي الباحث بعقد مسابقات بحثية تتناول جوانب ثرّة من السيرة النبوية العطرة، على أن تشمل هذه الأبحاث جميع المراحل التعليمية، ابتداء من المرحلة الابتدائية وحتى الجامعية، وأن تكون الموضوعات محل البحث متناسبة مع كل مرحلة عمرية، وألا تكون العبرة منها جمع المادة العلمية فقط، وإنما الإبداع في قراءة جوانب السيرة وتحليلها.
- يوصي الباحث بضرورة تنقيح السيرة النبوية العطرة، وعرضها على هيئة مواقف موجزة يمكن الاستفادة منها في جوانب الحياة المختلفة، مع ضرورة ترجمتها إلى لغات أخرى؛ لعرض صورة جمالية إيجابية عن النبي ﷺ وعن الدين الإسلامي، وتغيير الصورة الذهنية المرسومة من قبل أعداء الإسلام عن الإسلام ونبيه ﷺ.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد (ت 630هـ/ 1232م): **أسد الغابة**. دار الكتب العلمية، (د. ط)، 1415هـ-1994م.

اللباب في تهذيب الأنساب. دار صادر، بيروت (د.ت).

(42) ابن هشام: السيرة، ج2/638-639.

- ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ/1201م): **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**. ط2، تحقيق: محمد ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت1410هـ/ 1995م.
- ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت244هـ/858م): **كتاب الألفاظ**. دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1423هـ / 2002م.
- ابن حبان، محمد بن حبان البستي (ت 354هـ/965م): **الثقات**. دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند، 1393هـ/ 1973م.
- ابن سعد، محمد بن سعد (ت 230هـ/ 845م): **الطبقات الكبرى**. تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ / 1990م.
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبدالله (ت 463هـ/1070م): **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**. دار الجيل، بيروت، 1412هـ/ 1992م.
- ابن قانع، أبو الحسين عبدالباقي بن قانع بن مرزوق (ت 351هـ/962م): **معجم الصحابة**. تحقيق: صلاح سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، 1418هـ .
- ابن منده، أبوعبدالله محمد بن اسحاق بن منده (ت395هـ/1005م): **معرفة الصحابة**. تحقيق: عامر حسن صبري، جامعة الإمارات، (د. ط)، 1426هـ/ 2005م.
- ابن هشام، عبدالملك بن هشام بن أيوب (ت 213هـ/828م): **السيرة النبوية**. ط2، تحقيق: مصطفى السقا ورفقاه، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، مصر 1375هـ/ 1955م.
- أبو نعيم، أحمد بن عبدالله بن أحمد (ت 430هـ/1309م): **معرفة الصحابة**. تحقيق: عادل العزازي، دار الوطن، الرياض، 1419هـ/ 1998م.
- الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت370هـ/981م): **تهذيب اللغة**. تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م.
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن (ت 458هـ / 1066م): **دلائل النبوة**. دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393هـ/1003م): **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**. ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ/1987.
- خليفة بن خياط، أبوعمرو خليفة بن خياط بن خليفة (ت 240هـ /845م): **تاريخ خليفة بن خياط**،ط2، تحقيق: أكرم بن ضياء العمري، دار القلم- مؤسسة الرسالة، دمشق- بيروت 1397هـ .
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبدالرزاق الزبيدي (ت 1205هـ/1790م): **تاج العروس من جواهر القاموس**. (د.ت).
- السهيلي، أبو القاسم عبدالرحمن السهيلي (ت 581هـ/ 1185م): **الروض الأنف**. دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1412هـ.
- الطبري، محمد بن جرير الطبري (ت310هـ/ 922م): **تاريخ الرسل والملوك**. ط2، دار التراث، بيروت، 1387هـ.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت 170هـ / 786م): **العين**. ط5، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، (د. ت).
- الفسوي، يعقوب بن سفيان بن جوان (ت 277هـ/ 890م): **المعرفة والتاريخ**. ط2، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة- بيروت، 1401هـ - 1981م.

- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (821هـ/1418م): **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**. ط2، تحقيق: إبراهيم الإيباري، دار الكتاب اللبنانيين، بيروت، 1400هـ/ 1980م.

المراجع

- إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية، مطبعة الاعتماد، مصر، 1348هـ/1929م.